ولم يكد مروان يستقر في الشام بعد عودته من مصر حتى واجهه حركة خطيرة تزعمهاسليمان بن صرد الخزاعي في الكوفة ، تدعوا الى الأخذ بثأر الحسين بن علي (رض) ، والواقع أن هذه الحركة كانت قد بدأت منذ عهد يزيد وعرف اتباعه التوابين تعبيراعن توبتهم وندمهم على خذلانهم الحسين ، وكان سليمان هذا من بين الذين كاتبوا الحسين ودعوه للقدوم الى الكوفة ، فلما مات يزيد بدمشق أعلن سليمان عن أهدافه وعزمه على الاقتصاص من قتلة الحسين ، مستغلا تصاعد حملة العداء والاستنكار التي عمت العراق ضد الحكم الاموي ، حيث قام أهل الكوفة بطرد نائب عبيد الله بن زياد وأعلنوا مبايعتهم لعبد الله بن الزبير، فأرسل الأخير عبدالله بن يزيد الأنصاري واليا على الكوفة في الثاني والعشرين من رمضان سنة ٦٤ هـ [١٠].

واضطرعبيد الله بن زياد الى مغادرة العراق على أثر تلك الاحداث التي عمت الكوفة والبصرة فاتصل بمروان ابن الحكم وسانده في الوصول الى الخلافة .

واستقر رأي التوابين على الاجتماع في ربيع الثاني سنة ٦٥هـ وكتبوا الى انصارهم في المدائن والبصرة وعلى الرغم من أن اعدادا كبيرة أبدت استعدادها للانضواء تحت حركة التوابين والقتال الى جانبهم إلا أنه لم يجتمع في الموعد المقرر سوى أربعة الآف رجل ، ولم يؤثر